﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس: 20 - 21]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

ليس العيبُ في دعـوة الحـقِّ، وإنّما في القوم المكذّبين

لمّا كان السّياقُ على معنى أنَّ الأمر بيد الله، فلا هاديَ لِمَنْ أَضلَّ، ولا مُضلَّ لِمَنْ هدَى؛ لأنّ القوم بلغوا رُتبة الإسرافِ التي تدلُّ على أنَّ هداية التّوفيق لم تشملْهُم، فهو سبحانه يَهدي البعيد في البقعةِ والنَّسَبِ إذا أراد، ويُضلُّ القريبَ فيهما إن شاء: بيَّن أنَّ الدّعاء نفع الأقصى، ولم ينفعِ الأدنى، فقال: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ الآيتين.

وأيضًا لمّا أخبر الله تعالى عنِ المرسَلين أنَّهم أتَوْا بالبلاغ المبين: بيَّن أنَّ الرّجل السّاعيَ انتفع مِن هذا البلاغ، فليس العيبُ في المرسَلين وبلاغِهم، بلِ العيبُ في القوم المكذّبين، والدّليلُ هذا الرّجلُ المؤمن الذي جاء يسعى مِن أقصى المدينة، لإعلانِ إيمانِه، ومُحاورةِ قومِه، فجاءت هاتانِ الآيتان وما بعدهما إلى آخِر القصَّة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَقْصَا﴾: أصلُ (قصو) يدلُّ على بُعْدٍ وإبعادٍ، من ذلكَ القَصا: البُعدُ[1]، وقَصا المَكانُ يَقْصو قُصوًّا: بَعُدَ، والقَصيُّ والقاصي: البَعيدُ[2]، وكلُّ شيءٍ تَنَحَّى عَنْ شيءٍ فقدْ قَصا يَقصو قُصوًّا، فهو قاصٍ، والأَرضُ قاصيةٌ وقَصيَّةٌ، والمُرادُ بقوله سبحانه: ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ أي: مِن بعيدِ المَدينةِ، أو طَرَفِ المَدينةِ[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قصا).
(2) الجوهري، الصحاح، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (قصا).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 365.

2) ﴿يَسْـَٔلُكُمْ﴾: (سأل) أصلُ السُّؤالِ الاِسْتِدْعاءُ والطَّلَبُ، يُقالُ: سَأَلْتُهُ عن علمٍ سُؤالًا ومسألةً، أيْ: طَلَبْتُ مَعرفَتَهُ، وسألْتُهُ الصَّدَقَةَ، أيْ: طَلَبْتُ منه أنْ يَتَصَدَّقَ عَلَيَّ[1]، ومِن مَعانيهِ: الاستفهامُ والاستخبارُ والاستعلامُ والاستفسارُ[2]، وحقيقةُ السُّؤالِ في قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ أي: لا يَطْلُب منكم أموالًا على إبلاغهم الرّسالةَ ونصحهم وإرشادهم.

3) ﴿أَجْرًا﴾: أصلُ (أجر) الجَزاءُ على العَمَلِ[3]، ومنه سُمّيَ الثَّوابُ أَجْرًا؛ لأنَّ اللّهَ يَجْزي العَبْدَ عليه، والأُجرة: اسمٌ على وزن فُعْلَة، مأخوذٌ من أجَرَه يأجُرُه ويأجِرُه إذا أثابَه وأعطاهُ جزاءَ عَمَلِهِ، وتُسَمَّى الأُجْرَةُ أيضًا: الأَجْرَ والكِراءَ، وهو بَدلُ المَنفَعَةِ، أو ما يُعْطاهُ الأجيرُ في مُقابِلِ العَمَلِ، ويُقال: الأَجْرُ مِنَ اللّهِ، والأُجْرَةُ مِنَ الإنسانِ، والجَمْعُ: أُجَرٌ، وأُجُراتٌ بِضَمِّ الجيمِ وفَتْحِها[4]، والمقصودُ بالأجر في الآية: أي العِوَضُ والمال على إبلاغ الرّسالةِ والإرشاد.

المَعْنى الإجْماليُّ:

لا يعدِمُ الحقُّ أنصارًا له وإن كانوا قِلَّةً

وجاء رَجُلٌ مُؤمِنٌ مِن طَرَفِ المدينة يُسرع المشيَ لمّا سمع بخبر الرُّسُل، وهو حبيبٌ النَّجّار، فقال ناصحًا قومه: اتَّبِعوا هؤلاءِ الرُّسُلَ الَّذين أرسَلَهم اللّهُ إليكم، اتَّبِعوا مَن لا يَسألُكم على تبليغِ رِسالةِ اللّهِ أيَّ أجرٍ دُنيويٍّ، وهم مُتَّصِفونَ بأنَّهم ثابِتونَ ومُستَقيمونَ على الحَقِّ الَّذي يَدْعونَكم إليه، فاتَّبِعوهم تهتَدوا[5].

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (سأل).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (سأل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجر).
(4) الجوهري، الصحاح، وابن سيده، المحكم، والراغب، المفردات: (أجر)، والمناوي، التوقيف، ص: 36.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 421، 422، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 570.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصلِ في الآية:

لا يستوي الخبيثُ والطَّيِّبُ

عُبّر بطريق الوصل في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ ليكون الكلامُ مِن عطف قصَّة لها تعلّقٌ بالقصّة المعطوف عليها، فعُطف الكلام على قصَّة التَّحاور الجاري بين أصحابِ القرية والرّسل الثّلاثة؛ لبيان البَونِ والفرقِ الكبير بين حالِ المعانِدين مِن أهل القرية وحال الرّجل المؤمن منهم، الذي وعظهم بموعظةٍ بالغةٍ، ولهذا جاء الكلام بصيغة الخبر، فتكون جملة: (جاءَ مِن أَقصا المَدينَةِ رَجُل يَسعَى) عَطْفًا عَلَى جُمْلَةِ ﴿جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

ويحتمل أن تكونَ عَطْفًا عَلَى جُمْلَةِ: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾[1]، فالجهةُ الجامعةُ بين المعطوفيْنِ: هي الإخبارُ عن حال المرسَلين مع أصحاب القرية.

فائدةُ تقديمِ الجارِّ والمجرور على الفاعل:

قد يوجدُ الخيرُ في أطراف البلد، ولا يوجد في وسطِها

قُدّم الجارُّ والمجرور على الفاعل الذي حقُّه التّقديمُ في قوله ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ بيانًا لفضل هذا الرّجل الذي جاء يسعى، إذ هداه الله تعالى مع بُعده عنهم في المكان، وللإشعار بأنَّ بُعدَه لم يمنعه مِنَ الإيمان بهم، ولم يمنعْه عن مناصرتِهم والسّعي لنصيحة قومِه، وفيه بلاغةٌ باهرةٌ؛ وذلك لأنَّه لمّا جاء مِن أقصى المدينة رجلٌ، وهو قد آمن: دلَّ على أنَّ إنذارَ المرسَلين وبلاغَهم قد بلغ أقصى المدينة، فيُشْعِرُ بأنّهم أتَوْا بالبلاغ المبين، فما قصَّروا في التّبليغِ والإنذار حتى بلغ خبرُهم القاصيَ والدّانيَ، وفيه تنبيهٌ إلى عِظَم ما قام به المرسَلون، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الإيمان بالله ظهر في أهل أبعدِ المدينة قبل ظهوره في قلب المدينة؛ لِأَنَّ قلب المدينة هو مسكنُ حُكّامها، وأحبارِ اليهودِ، وهم أبعدُ عنِ الإنصافِ والنَّظَرِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 365.

في صِحَّةِ ما يَدعوهم إليه الرُّسُلُ، وعامَّةُ سُكّانِها تَبَعٌ لعُظَمائها، لِتَعَلُّقِهم بهم، وخشيتهم بأسَهُم، بخلافِ سُكّانِ أطراف المَدينَة، فهم أقرب إلى الاستقلالِ بالنَّظَرِ، وقلَّةِ اكتراثٍ بالآخَرينَ؛ لِأَنّ سُكّان الأَطراف غالِبُهُم عملَةُ أَنفُسِهم؛ لِقُربِهم منَ البَدوِ، ففي التّقديم اهتمامٌ بالثّناء على أهل أقصى المدينة[1]، وفيه أيضًا: إشعارٌ بأَنَّ الله تعالى يهدي مَن يشاء؛ سواء قرُبَ أو بعُد[2]، ولو أخّر الجارَّ والمجرور وقُدِّم الفاعل لأشكل النّظمُ، وتوُهِّمَ تعلّقُ: ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ بـ﴿يَسْعَىٰ﴾ فلم يفد أنَّه مِن أهل المدينة، وأنَّ مسكنه في طرفها؛ مع أنَّه هو المقصود[3].

إيثارُ التّعبيرِ بـ﴿أَقْصَا﴾:

مجيءُ الرَّجُلِ مِن أيِّ مكانٍ في أقصى المدينة كافٍ في مدحِه

المرادُ بالأقصى الأبعدُ في المكان، والمعنى: وجاء مِن أبعد مواضع المدينة رجلٌ يسعى، وعُبّر بـ﴿أَقْصَا﴾ دون (أبعد) لأنَّ لفظَ ﴿أَقْصَا﴾ يدلُّ على بُعد المكان والنّاحية، ولو قيل (من أبعد) لاقتضَى أنْ يَذْكُر مُتعلَّقَ البُعْد، فيقال (مِن أبعد موضعٍ في المدينة)، أو: (مِن أبعدِ مكانٍ في المدينة)؛ لأنَّ البُعْد يكون في المكان وغيره، فلو عُبّر بالأبعدِ فات الإيجازُ الملائِمُ لسَمْتِ بيانِ القِصَّةِ مِنَ الطَّيِّ والقَبْضِ، ووصفُ الرّجل بالبُعْد لا يُناسب إيمانَه وقُرْبَه مِنَ الله تعالى، ومِنَ المرسَلين.

فائدةُ (أل) في ﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾:

إنّما يُمدَح المكانُ ويُذمُّ بساكِنيهِ

(أل) في قوله ﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾ للعهد الذِّكريِّ، أي: المدينة التي ذُكرت بوصْفِ القرية في قولِه: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ بمعنى: المدينة التي اتّصفت بمجيء المرسَلين إليها، وبما حصل فيها مِنَ المُحاورة بين المرسَلين والمكذِّبين، أو تكون عوضًا عن مضافٍ، وتقديرُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 365.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 109، والشربيني، السراج المنير: 3/ 344.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 262، والنيسابوري، غرائب القرآن: 5/ 529، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 398.

الكلام: وجاء مِن أقصى مدينة القوم الذين أرسلْتُ إليهم هؤلاء الرُّسُلَ[1]، فحُذف المضافُ، وعوِّض عنه بـ(أل)، وعلى كِلا الوجهين في التّعبير بـ(أل): إيجازٌ في المعنى.

نُكتةُ العُدولِ عنِ التّعبيرِ بالقرية إلى المدينة:

المدينةُ أوسعُ مِنَ القرية

عُبَّر أوّلًا بالقرية في قوله: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾، ليناسبَ لفظَ ﴿أَصۡحَٰبَ﴾ الدّالَّ على الاجتماع، والقريةُ فيها معنى الجمع، ثمَّ لمّا عبّر عن بُعدِ الأطرافِ وكِبَرِ البلدة بقوله: ﴿مِنۡ أَقۡصَا﴾ ناسب ذكرُ المدينة فقال: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾، فلكلٍّ كلمةٍ مع صاحبتِها مقامٌ، ففي التّعبير بالمدينة إشارةٌ إلى السّعة؛ لأنَّ المدينة أدلُّ على الكِبَر المُستلزِم بُعْدَ الأطراف وجمْعَ الأخلاط، وذهب بعضُ المفسّرين إلى أنَّ التّعبير بالمدينة بعد التّعبيرِ بالقرية للتّفنّن[2].

دلالةُ التّعبيرِ بقوله تعالى ﴿مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾:

في اختيارِ مكانِ الدَّعوةِ حِكْمةٌ لإظهارِ الآياتِ وإثباتِ الحُججِ

في قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ دلالةٌ بطريق اللّزوم على أنَّ موضع محاورةِ المرسلين لأصحاب القرية كان في وسط المدينة، وعندَ مجتمع النّاس، وليس في أطرافِها أو أقصاها.

فائدةُ تنكيرِ لفظِ ﴿رَجُلٞ﴾:

الرّجولةُ في الإيمان، ورجاحةُ العقلِ، وقوّةُ الحجّةِ

في تنكير الرّجل في قوله تعالى: ﴿رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ مع أنّه كان معلومًا معروفًا عند الله تعالى فائدتان؛ الأولى: أن يكون تعظيمًا لشأنه، أي: رجل كاملٌ في الرجوليَّة، وقد دلّ على هذا إيمانُه، وإعلانُه به، ورجاحةُ عقلِه في المحاورة، وإيرادِ الحُجج، والثّانية: أن يَظهر مِن جانب المرسَلين أمرُ رجلٍ مِنَ الرجال، لا معرفة لهم به، فلا يُقال: إنَّ المرسَلين والرّجل تواطؤوا فيما بينهم[3].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 504.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 111، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 365.
(3) النيسابوري، غرائب القرآن: 5/ 529، والشربيني، السراج المنير: 3/ 344.

نُكتةُ التّعبيرِ بلفظِ ﴿يَسۡعَىٰ﴾:

إنّـما يسعى الـرَّجـلُ لحياة الإيمانِ في قلبه

عُبّر بلفظ ﴿يَسۡعَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ للدّلالة على أنَّه كان يُسرعُ في مشيه فوق المشي المعتاد، ودون العَدْو، ويجتهد في إسراعِه، لقطع مسافةٍ ممتدَّة، لتحصيل المطلوب وتحقيقِه، وقد دلَّ على هذا قولُه: ﴿مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ ففيه إشعارٌ بجِدّه في الأمرِ، حرصًا على نصيحة قومه، وأفاد أيضًا: أنَّ فعلَه محمودٌ مرغوبٌ فيه، فإنَّ أكثر ما يُستعمل السَّعْيُ في الأفعال المحمودة[1]، وفيه أيضًا: تبصيرٌ للمسلمين، وهدايةٌ لهم؛ ليبذلوا جهدهم في النُّصح[2].

دلالةُ التّعبيرِ بالمضارع:

مجيءُ الرّجلِ المؤمنِ إلى موضعِ محاورةِ القومِ كان مقصودًا

نظَم القرآنُ السعيَ المُسنَدَ إلى الرّجلِ المؤمن فعلًا مضارعًا؛ ليستحضرَ المُتَلَقّون صورَةَ السَّعْي في أذهانِهم، ويُشاهِدوها كأنّها أمامَهُم؛ لأنَّ السّعيَ قد كان منه، وانتهَى، والقرآنُ يَحكيه، لأنَّ هذا السَّعْيَ جوهرُ أحوالِ الرَّجلِ، والذي يتأسَّسُ عليه باقي أحوالِه؛ فهو يسعَى بسرعةٍ مِن أجلِ صلاح قومِه وإصلاحِهم بالإيمان، عن طريق نهيِهم عنِ المنكر، وأمرِهم بالمعروف؛ وهو يسعَى مُشفِقًا عليهم، رحيمًا بهم، نَصوحًا لهم، مِن أجلِ نجاتهم مِنَ النّيران، والفوز بالجِنانِ، وهو يسعَى مِن أجل مناصرة رُسلِ اللّه.

فائدةُ حذْفِ متعلَّقِ الفعلِ:

المؤمنُ يهتمُّ بشأنِ المؤمنين ويسعى في نصرتِهم وهدايتِهم ونصحِهم

حُذف متعلَّقُ الفعلِ ﴿يَسۡعَىٰ﴾ لإفادة عمومِ انتهاء الغاية، والتّقديرُ: يسعى إلى المرسَلين لمُناصرتِهم، وإلى القومِ المكذّبين لنصيحتِهم، ويسعى إلى موضع المحاورة لبيان الحقِّ، وزيْفِ الباطل، وفيه إيماءٌ إلى السّعي الذي هو بمعنى القيام في المَهامِّ العظيمة، والجدّ فيها؛

(1) الراغب، المفردات وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (سعى).
(2) الشربيني، السراج المنير: 3/ 344.

على ما يدلُّ عليه السّياق، أي: أنّه يهتمُّ بشأن المؤمنين، ويسعَى في نصرتهم وهدايتهم ونصحهم[1].

توجيهُ المتشابهِ اللّفظيّ:

يفتقرُ سياقُ يس إلى لوازمِ المجيءِ مِن أقصى المدينة

جاء في سورة القصص في قصّة موسى قَوْلُه: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص: 20]، وفي سورة يس: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾.

فخُصَّت سورَةُ يس بتقديم الجارّ والمجرور على الفاعل؛ لأنَّ المراد ذكرُ الموضع الذي جاء منه، قصدًا إلى الاهتمام بأنَّه قطع مسافةً ممتدّةً، وأنَّه جدَّ في الأمر، أي: لَمّا سمع خبر الرُّسُل جاء مِن أقصى المدينة يسعَى، فكانَ الذى يفيد المخاطَبَ في سورة يس أنْ يَعلم أنّه جاء مِن مكان بعيد إلى مجتمع النّاس في القرية، فقدَّم ما تبْكيتُ القوم به أعظمُ، والتّعجّبُ منه أكثرُ، فقال: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾، أي: ينصحُ لهم ما لا ينصحون مِثْلَه لأنفسهم، ولا ينصح لهم أقربوهم؛ مع أنَّه لم يحضر جميعَ ما يحضرونه، ولم يُشاهد مِن كلام الأنبياء ما يشاهدونه، فحثَّهُم على اتّباع الرُّسل المبعوثين إليهم، وقَبولِ ما يأتون به مِن عند مُرسِلهم.

وأمّا آية سورة القصص: فخُصَّت بتقديم الفاعل ﴿رَجُلٌ﴾ على ذكر الموضع ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾؛ لأنَّ وظيفةَ الرَّجلِ هناك هي النُّصْحُ لموسى بالخروج مِنَ المدينة التي وكَز فيها الرجلَ الذي ليس مِن شيعتِه؛ لأنّ الملأ يأتمرون به ليقتلوه، فهذا يفتقرُ إلى شجاعةٍ وجرْأةٍ معَ إخلاصٍ وحُبٍّ، ونحوِ ذلك مِنَ الصّفات التي تقوم بالموصوفِ، فلا يقومُ بهذا الدَّوْرِ مع نبيِّ الله موسى ﷺ إلّا رجلٌ هاتِه صفاتُه؛ فلذلك اعتنَى به القرآنُ فقدَّمَه، وأتَى به في موقعِه الأصلِ.

(1) النيسابوري، غرائب القرآن: 5/ 529.

ونقل ابنُ عرفة توجيهًا لتقديم الفاعل في آية القصص، فقال: "إنّما قدم الرّجلُ هنا تحوّطًا على قلب النّبيِّ صلّى اللّه عليه وعلى آله وسلّم مِن أنْ يَناله رَوْعٌ أو حزنٌ على موسى عليه السلام؛ لأنّه لو قيل: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾: لأمكن أن يظنّ النّبيُّ صلّى اللّه عليه وعلى آله وسلّم، أنّه جاءه جماعة كثيرون يريهم الاستخفافَ منه لأجل قتلِه القبطيَّ، فما يصل إلى ذِكْر الفاعل إلّا بعد حصول الرّوعِ منه والفزع في القلب، فبدأ بذِكْر الرّجلِ احترازًا من هذا"[1].

وفي توجيه المتشابه وجْهٌ آخر؛ وهو أنَّ الرّجل في آية يس جاء ناصحًا لهم في مخالفة دينهم، فمجيئه مِن أقصى المدينة أنسبُ لدفع التّهمة والتواطؤ عنه، فقُدِّم ذكرُ البُعْدِ في المكانِ لذلك، وفي آية القصص: لم يكن نصحُه لترك أمرٍ يشقُّ تركُه كالدّينِ، بل لمجرّد نصيحةٍ لموسى عليه السلام، فجاء على الأصل في تقديم الفاعل على الجارِّ والمجرور[2].

ووجْهٌ آخرُ؛ وهو أنَّه قدّم الجارَّ والمجرور على الفاعل في آية يس لأنَّه أهمُّ؛ يُبيِّنُ ذلك: أنّه حين أخذ في قصّة الرُّسل: اشتمل الكلام على سوء معاملةِ أصحابِ القرية الرُّسلَ، وأنّهم أصَرّوا على تكذيبهم، وانهمكوا في غَوايتهم، مُستمرّين على باطلهم، فكان مَظِنَّةَ أنْ يلعن السّامعُ - على مجرى العادة - تلك القريةَ قائلًا: ما أنكدَها تُرْبةً، وما أسوأها مَنْبَتًا، ويَبقى مُجيلا في فكره: أكانت تلك المدرةُ بحافاتها كذلك؟ أم كان هناك قطرٌ دانٍ أو قاصٍ منبت خير؛ منتظرًا لمساق الحديث هل يُلِمُّ بذكره؟ فكان هذا العارضُ مُهِمًّا، فلمّا جاء موضعٌ له صالحٌ: ذُكِرَ، فقُدِّم الجارُّ والمجرورُ لدفع توهّم خُلوِّ القرية مِنَ الخير، منتظرًا لإلمام الحديث به، بخلاف ما في سورة القصص فإنّ الكلام فيها جاء على الأصل؛ بتقديم الفاعل على الجارِّ والمجرور[3].

بلاغةُ الفَصْلِ:

جاء قوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ على طريق الاستئنافِ البيانيِّ؛ ليقعَ جوابًا

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 267.
(2) ابن جماعة، كشف المعاني، ص: 304.
(3) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 283، والخطيب القزويني، الإيضاح: 2/ 169.

مجيئُه يسعَى يدفَعُ إلى معرفة حاله قولًا وفعلًا

عن سؤالٍ نشأَ مِن حكايةِ مجيئِه ساعيًا، كأنَّه قيلَ: فماذا قالَ عند مجيئِه؟ فقيل: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[1].

دلالةُ النّداء بـ(يا):

القومُ في غفلةٍ عظيمةٍ؛ فاحتاجوا للنّداء

عُبّر بحرف النّداء (يا) في قوله تعالى على لسان الرّجلِ المؤمن: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ ليكونوا متهيّئين لإصغاء ما يُلقي إليهم، وجاء بصيغة نداءِ البعيد، للإشعار ببُعْدِهم عن طريق الحقِّ.

نُكتةُ التّعبيرِ بلفظ (القوم):

عُبِّر بالقوم في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ لقصد العموم، ليشمل النّداءُ أصحابَ القرية كلَّهم، وليُفْهِمَهُم - في نورِ باقي الآية - أنّهم في مُكْنتِهم أنْ يتَّبِعوا المرسَلين.

فائدةُ تقديرِ الإضافةِ وحذفِ المضافِ إليه:

خيرُ الدُّعاةِ إلى اللهِ مَن يُحْسِنُ الجمعَ بين التّرغيب والتّرهيب

أضاف الرّجلُ المؤمنُ القومَ إلى نفسِه في قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ ليلزم منه إضافةُ نفسِه إليهم إضافةَ اختلاطٍ، وامتزاجٍ؛ فكأنّه منهم، وهم منه، فَصارا كالجَسَدِ الواحد، فهو مريدٌ لهم ما يريد لنفسه، وإنّما يضرُّهم ما يضرُّه، وينفعُهم ما ينفعُه؛ كقول القائل لغيره إذا نصحه: ما أُحِبُّ لك إلّا ما أُحِبُّ لنفسي؛ وذلك إشارةٌ إلى تأليف قلوبِهم، واسْتِمالتِها إلى قَبولِ نصيحته في اتّباع المرسَلين وطاعتِهم فيما يأمرونهم به، ففي الإضافة إظهارٌ منه لقومِه أنَّه لا مباينةَ بينهم، ولا تهمةَ في إرادة السّوءِ بهم[2].

وحُذِف في النَّظْمِ القرآنيِّ المضافُ إليه، والتّقديرُ: (قومي)، والحذفُ صورَةٌ لإثباتِ معنى تبرُّئه مِن صنيعِهم، وأنّه غيرُ راضٍ عنه، ولا تعانُدَ بين الأسلوبيْنِ، فبالإضافةِ والحذفِ مَعًا

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 163، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 398.

(2) أبو حفص النسفي، التيسير في التّفسير: 12/ 350، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 163، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 112.

يظهرُ لنا كمالُ إيمانِ الرَّجلِ، وحِكْمتُه في الدَّعوةِ إلى اللّهِ سبحانه وبحمده.

دلالةُ الاتّباعِ بين الكنايةِ والاستعارةِ:

يلزمُ من اقتفاءِ الأثرِ واللّحوقِ بالمتبوع الامتثالُ لقولِه وعملِه

لمّا كان الاتّباعُ هو لحوقَ الشّيء بلا فاصلٍ على سبيل اقتفاءِ الأثرِ، واللّحوقِ بأثر المتبوع، والسّيرِ في أثره: كان المرادُ بالاتّباع الائتمارَ والامتثالَ على سبيل الكناية؛ لأنّه يلزم مِن اقتفاء الأثر واللّحوق بالمتبوع الامتثالُ لقولِه وعملِه[1]، فعُبّر بلفظ ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾، للإيذان بوجوب اقتفاءِ أثَرِ المرسَلين، ولحوقِهم والسّير في أثرِهم، بحيث لايغيب عنِ القوم شيءٌ من أوامرِهم وأفعالِهم وآثارِهم، ويحتمل أن يكون لفظُ ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾ على الاستعارة التّصريحية التّبعيَّة؛ تشبيهًا للأخذِ برأيِ غيرِه على سبيل الامتثال بالمتّبِع له في سيرِه والمقتفي أثرَه[2]، والحملُ على الاستعارة هو الألصقُ بحال الرَّجلِ المؤمن، مِن شديدِ حرصِه على هداية القوم؛ لأنّ الاستعارةَ أبلغُ وأقوى في ذاتها مِنَ الكناية، فعَلاقَةُ الاتِّحادِ التي في الاستعارة ليسَت في الكناية.

فائدةُ (أل) في ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

اتّبِعوا المرسلينَ الذين أعرفُ أحوالَهم كما عَرَفْتُموها

(أل) في قوله ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ للعهد الذِّكْريِّ[3]، أي: (اتّبعوا المرسَلين الذين جاؤوكم، وبلَّغوكم بالرّسالة)، وهذا يعني سبْقَ علم الرّجلِ المؤمن بهم، وبما جاءوا به، وأنّه مؤمن بهم وبالذي جاءوا به، وأنّه بلَغ في الإيمان بذلك على جهة العلم التَّفصيليِّ مبلَغًا جعَلَه داعيًا إلى الله تعالى كالرُّسُلِ.

فائدةُ التّعبيرِ بعنوانِ الرّسالة:

يجبُ اتِّباعُ مَن يدلُّ على اللهِ حالُه

تعرَّضَ الرّجلُ المؤمنُ لعنوان الرّسالة في قوله: ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ حثًّا لهم على اتّباعِهم؛ ببيان علَّة الاتّباع وسببِه، وهو كونُهم مرسَلين

(1) الراغب، المفردات وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (تبع).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 366.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 366.

مِن عند اللّه تعالى بالآيات الظّاهرة الدّالّةِ على الرّسالة[1]، ففيه حثٌّ للقوم على النَّظَرِ في الرِّسالةِ، وفي وظيفتِهِم؛ هل أدّوها؟ أم قَصَّروا فيها؟.

بلاغةُ إيجازِ القَصْر في قوله ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾:

الـجـمـعُ بين إظهارِ النّصيحةِ وإظهارِ الإيمانِ

جُمِع في قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ بينَ إظهار النّصيحةِ وإظهارِ إيمانِه؛ فقوله ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾ إظهارٌ للنّصيحة؛ لأنَّه ذكرَ الفعلَ على سبيل الطّلبِ المفيد لوجوب الامتثال، وقولُه ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ إظهارٌ لإيمانه؛ لأنَّه وصفَهم بالمرسَلين، فهو مؤمِن برسالتهم وبكونهم رسُلًا، وقدَّم إظهارَ النّصيحة على إظهار الإيمان؛ لأنّه كان ساعيًا في النّصيحة، ولإظهار الشّفقة، وأمّا الإيمان فكان قد آمَن مِن قبلُ، وقد باح بإيمانِه؛ ليشتغل القوم به عن رجم الرُّسل، وتعذيبِهم[2].

توجيهُ المتشابِهِ اللّفظيِّ:

تـنـوّعُ التّعبيرِ القرآنيِّ لِتنوّعِ المقامِ

إن قيل: ما الفرقُ بين مؤمن آل فرعون؛ حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨﴾ [غافر: 38] وهذا الرّجل إذ قال: ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، فأمرَ مؤمنُ فرعونَ قومَه باتّباعِه في الإيمانِ بموسى وهارون ﷺ، وأمّا الرّجل المؤمن في سورة يس فقد أمرَهم باتّباع المرسَلين ولم يقل (اتّبعونِ)؟ ويجابُ: بأنَّ الرّجل المؤمن المذكور في سورة يس نصحهم في أوّلِ مجيئه ولم يروا سيرتَه بعدُ ولم يعلموها، فقد جاء من أقصى المدينةِ فقال: (اتّبعوا هؤلاء الذين أظهروا لكم الدّليلَ وأوضحوا لكم السّبيلَ)، وأمّا مؤمنُ آل فرعون فكان فيهم ونصحهم مرارًا وقد علموا سيرته، فقال: ﴿ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ﴾ [غافر: 38] أي: (اتّبعوني في الإيمان بموسى وهرون ﷺ، واعلموا أنَّه لو لم يكن خيرًا لما اخترته لنفسي وأنتم تعلمون

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 163، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 112.
(2) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 12/ 350، والنيسابوري، غرائب القرآن: 5/ 529.

أنّي اخترته)[1] فالرَّجلُ المؤمنُ يُخاطِبُ قومًا يستخِفُّهم فرعونُ، ويُخوِّفُهم ويُرعِبُهم، ويُهدِّدُهم ويتوعَّدُهم؛ لو اتَّبَعوا موسى ﷺ، فهو يخافُ على قومِه مِن فرعونَ ومَن معَه مِن أهلِ الكفر، فعَرَّضَ بفرعونَ وبهم، فقال لقومه: ﴿ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨﴾ [غافر: 38]، والمعنى: اتّبعونِ، ولا تتّبعوا فرعونَ؛ لأنَّ فرعون قال لهم مِن قبلُ: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾ [غافر: 29]، فكرّر الرّجلُ المؤمنُ كلمة ﴿سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨﴾ [غافر: 38]، ومعنى الهداية: (﴿أَهۡدِكُمۡ﴾ [غافر: 38]؛ ﴿أَهۡدِيكُمۡ﴾ [غافر: 29])؛ فأفْهَمَ هذا ما ذكرنا.

بلاغةُ الفصلِ:

جاء قوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾ غيرَ مُصَدَّرٍ بواو العطف، لأنَّه يتضمّن تأكيدًا لِما قبله، إذ يلزم منه الإرشادُ إلى اتِّباع المرسَلين، أو أن يكون عطفَ بيانٍ؛ لكمال الإيضاحِ لبيان سبب الأمر باتّباعِهم، وللتَّوسُّل به إلى وصفهم بما يُرغِّبُهم في اتِّباعهم؛ مِنَ التَّنزهِ عنِ الغرض الدُّنيويِّ، والاهتداءِ إلى خيرِ الدُّنيا والدّينِ، أو يُقال: اتّبع الرّجلُ المؤمنُ طريقةَ الحِجاج بالتّنزّل، لأنَّه لمّا قال لهم: ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ كأنَّهم منعوا كونَهم مرسَلين، فنزل درجة، وقال: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾، وبيانُه: أنَّ الخَلْقَ في الدُّنْيا سالِكونَ طَريقَةً، وطالِبونَ لِلاسْتِقامَةِ، والطَّريقُ إذا حَصَلَ فيه دَليلٌ يَدُلُّ يَجِبُ اتِّباعُهُ، والامتِناعُ من الاتِّباعِ لا يحسُنُ إلّا عند أَحَدِ أَمرَينِ؛ إمّا مُغالاةِ الدَّليلِ في طَلَبِ الأُجرَةِ، وإمّا عند عَدَمِ الاعتِمادِ على اهتِدائِهِ، ومعرِفَتِهِ الطَّريقَ، لَكِنَّ هَؤُلاءِ لا يَطلبونَ أُجرَةً، وهم مهتدونَ عالِمونَ بالطَّريقَةِ المُستَقيمَةِ الموصِلَةِ إلى الحَقِّ، فَهَب أَنَّهُم ليسوا بمرسَلينَ

إذا عُدمتِ الأجرةُ وثبتتِ الهدايةُ ظهرَ الصّدقُ ووجبَ الاتّباعُ

(1) النيسابوري، غرائب القرآن: 5/ 529، والشربيني، السراج المنير: 3/ 344.

هادينَ، أَلَيسوا بمُهتَدينَ؟ فاتَّبِعوهُمْ[1]، فعلى هذا الوجه يلزمُ مِن هذه الآية التَّوجيهُ إلى اتِّباعِ الرُّسُلِ أيضًا؛ فبينَ الطَّرفيْنِ على هذه الأوجهِ السّابقة كمالُ اتّصالٍ.

بلاغةُ مجيءِ هذه الآيةِ بعدَ التي قبلَها:

غـرضُ المؤمنين في الـدّعـوة إلى الحـقِّ ليس إلّا محض النُّصح

في قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ إطنابٌ بالتَّتميم؛ لأنَّه يتضمّن تأكيدًا لقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ بطريق الاستدلال؛ فإنَّ مَن سعى في أمرٍ لا بُدَّ أن يَطمع ويَتوقّع أجْرَه، وهؤلاء المرسَلون بخلاف ذلك، وغرضُهم في ذلك ليس إلّا محضَ النُّصح، لا متابعةَ أمر الشّهوة والرّياء[2]، فهذه الآية غرضُها المبالغة في وجوب اتّباع المرسَلين المأمورِ به صراحةً في الآية السّابقة عليها.

نُكتةُ الحملِ على لفظ ﴿مَن﴾ ومعناها:

حـــالُ رســـولٍ واحـدٍ كـافيةٌ في وجـــوب اتّـبـاعـه فكيف وقد أُرسل منهم ثلاثةٌ

حمَل القرآنُ على لفظ ﴿مَن﴾ بالإفراد والتّذكيرِ في قوله ﴿مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ﴾، إيماءً إلى وجوب اتِّباع مَنِ اتّصف بهذا الأمر الدّالِّ على الرّسالة، وإن كان واحدًا[3]، أي: أنَّه كان يكفيهم مُرْسَلٌ واحدٌ لكي يؤمنوا، لكمال الرِّسالةِ في نفسها، بحيث لا تحتاجُ إلى مُكمِّلٍ لها مِنَ الخارج، فكيف يكونون وقد اجتمع لهم ثلاثةُ رسل؟ وفي هذا تقريرٌ لإسرافِهم في الكفر والطّغيان والمعاصي، وفي الإفراد في هذا المعنى - وهو نفيُ السّؤال عنِ الأجر - إبلاغٌ في مدح الرُّسل به، بالنَّصِّ عليهم واحدًا واحدًا، وفي الحمْل على معنَى مَن بالجمع في قوله ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ إشارةٌ لطيفةٌ إلى وجوب اتِّباعِهم، بالدُّخولِ في زُمْرَتِهم، أي: أنَّ حالَ كلِّ واحدٍ منهم على الاستقلال يوجِبُ اتِّباعَهُم، وحالُهُم جماعةً يوجِبُ ذلك.

---

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 263، والشربيني، السراج المنير: 3/ 344.

(2) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 26.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 110.

فائدةُ صلةِ الموصولِ:

أفادت صلةُ الموصول في قوله: ﴿لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ بيانَ سببِ الحكم، أي: بيانَ سببِ وجوب اتّباع المرسَلين، وهو كونُهم لا يسألونهم أجرًا مع اهتدائهم.

علّةُ التّعبيرِ بالمضارعِ:

جاءت جملةُ الصّلة الأولى فِعْليَّةً مَنْفيَّةً في قوله: ﴿لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾؛ لِأَنَّ المَقْصودَ نَفْيُ أَنْ يَحْدُثَ مِنْهُمْ سُؤالُ أَجْرٍ، فَضْلًا عَنْ دَوامِهِ وثَباتِهِ[1].

دلالةُ التّعبيرِ بلفظِ ﴿يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾:

دعـوةُ الـرُّسُـلِ مُمَحَّضَةٌ لِنَفْعِ القومِ

عبّر الرّجلُ المؤمنُ بالأجر في قول الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾؛ لأنَّه يدلُّ على كلِّ نَفْعٍ دُنيَويٍّ يحصُلُ لأَحَدٍ من عمله، فيَشمَلُ المالَ والجاهَ والرِّئاسَةَ، فلمّا نُفي عنهم أن يَسألوا أَجرًا فقد نُفي عنهم أن يَكونوا يَرمونَ من دَعوَتِهم إلى نَفعٍ دُنيَويٍّ يَحصُلُ لهم، وإنّما يرومون نفعَ النّاسِ، وقد جاء لفظ ﴿أَجْرًا﴾ نكرةً في سياق النّفي فأفاد العمومَ، بمعنى: (لا يسألونكم أيَّ أجرٍ، صغيرًا كان أو كبيرًا)، ففي هذا اللّفظ دلالةٌ على أنَّ المُرسَلين مأمورونَ بالتّبليغِ، فالذي أرسلَهُم هو الذي يَجْزيهم، ولا يطلبون مِنَ القومِ أيَّ حاجةٍ لهم على نصيحتِهم ودعوتِهم إلى التّوحيد.

فائدةُ حذفِ متعلَّقِ الصّلةِ:

شـأنُ الـرُّسـلِ إخلاصُ العملِ في جميعِ جوانبِ الدّعوةِ

لمّا حُذف متعلَّقُ الصلة في قوله ﴿لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ أفاد العمومَ، ليدلَّ على أنَّ المرسَلين لا يسألونهم أجرًا على دعوتِهم، وعلى نصيحتِهم، أي: هم لا يسألوهم أجرًا على رسالتِهم إليهم في أيِّ حالٍ من الأحوال[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 366.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 110.

نوعُ الواو، وفائدةُ جُملتها:

جـملـةُ الـحـالِ مناطُ استدلالٍ وإقناعٍ

الواو في قوله: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ واوُ الحال[1]، وجملةُ الحالِ تفيدُ اقتران اهتدائِهم بعدم سؤالِهم أجرًا على دعوتِهم ونصحِهم، على أنّهما خبران، لا خبرٌ واحدٌ، وذلك أبلغُ في إغرائهم باتِّباعِ الرُّسُلِ، وهي حالٌ مؤكِّدة؛ لأنَّ المُرسَل لا يكون إلّا مهتديًا[2]، واهتداؤهم يؤكِّد كونَهم لا يسألون الأجر، ولا ما يتْبَعُه مِن طلبِ جاهٍ وعُلوٍّ[3].

دلالةُ الجملةِ الاسميّةِ:

رسـلُ اللـهِ خيرُ مَـن تـدلُّ على اللهِ حالُهُ

عُبِّر بالجملة الاسميّةِ في قوله:﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾؛ للإشعار بأنَّ الاهتداء ثابتٌ لهم، لا يُزايلهم، فهم مهتدون قبل نصحِ القوم وبعده؛ ففيه إيذانٌ بثبات اهتدائِهم ودوامِهِ بحيث لا يَخْشى مَن يَتَّبِعُهم أن يَكونَ في وقْتٍ مِن الأَوقاتِ غيرَ مهتدٍ[4]، فقد رسَخ الإيمانُ في قلوبهم، وتكرَّرَ منهم أعمالٌ صادِرَةٌ عنه حتى صاروا عريقين فيه.

دلالةُ صيغةِ (افتعل) في ﴿مُّهْتَدُونَ﴾:

أفاد التّعبيرُ بصيغة (افتعل) في قوله: ﴿مُّهْتَدُونَ﴾ المبالغةَ في اهتدائِهم، وأنَّهم تلقَّوا هداية الله بالقَبول، لتفيد الصّيغةُ معنى المطاوعة، أي: هداهم الله، فاهتدوا.

بلاغةُ التّعريضِ:

اتّبعوا المُهتدين المُخلِصين، لا الضّالّين المُضِلّين

لمّا أَخبَرَ الرّجلُ عنِ المرسَلين بأنَّهم ﴿مُّهْتَدُونَ﴾، والاهتداء هو سلوكُ طريقِ الحقّ عن علمٍ به، وانكشافٍ تامٍّ له[5]، أفاد قولُه: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ التّعريضَ بالقومِ المكذّبين بأنَّهم ضالّون في طريقِهم، جاهلون بما يعملون، والمعنى: اتَّبِعوا مَن أنتم في

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 113.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 113.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 398.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 366.
(5) ابن فورك، تفسير ابن فورك: 2/ 185.

حاجةٍ إليهم، لأنّهم مهتدون، وهم ليسوا في حاجةٍ إليكم، لا دنيويّةٍ، ولا أخرويَّةٍ.

فائدةُ الإخبارِ بقوله ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾:

لمّا أَخبَرَ الرّجل المؤمن عنِ الرُّسل أنَّهم ﴿مُّهۡتَدُونَ﴾: أشعرَ أنَّ الرّسل يدعونهم إلى الهدى، وأنَّهم إنِ اتّبعوهم يهتدوا، أي: فإذا كانوا هم مهتَدينَ فإنَّ ما يدعونَكم إليهِ منَ الاقتِداءِ بهم دَعوَةٌ إلى الهُدى، فَتَضَمَّنَت هذه الجُملَةُ بموقِعِها بعدَ الَّتي قَبلَها ثَناءً على المُرسَلينَ، وعلى ما يَدعونَ إليهِ، وتَرغيبًا في مُتابَعَتِهم[1].

الثّناءُ على المرسَلين وعلى ما يدعونَ إليهِ والتّرغيبُ في متابَعَتِهم

سببُ تقديمِ عدمِ سؤالِ الأجرِ على الاهتداء:

قُدِّمَ في الصِّلَةِ في قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ عَدَمُ سُؤالِ الأجر على الاهتداء؛ لأَنَّ القوم كانوا في شَكٍّ من صدق المرسَلين، وكان من دواعي تكذيبهم اتِّهامُهم بأَنَّهم يجُرّون لأنفُسِهم نفعًا من ذلك، لأَنَّ القوم لمّا غَلَبَ عليهم التَّعَلُّقُ بحُبِّ المالِ، وصاروا بُعَداءَ عن إدراكِ المَقاصِدِ السّاميَةِ: كانوا يَعُدّونَ كُلَّ سعيٍ يَلوحُ على امرئٍ إنَّما يَسعَى به إلى نَفعِهِ؛ فَقَدَّمَ ما يُزيلُ عنهم هذه الاسترابةَ، وليتهيّؤوا إلى التَّأَمُّلِ فيما يَدعونَهم إليه، ولِأَنَّ هذا من قَبيلِ التَّخليَةِ بالنِّسبَةِ للمُرسَلينَ والمرسَلِ إليهم، والتَّخليَةُ تُقَدَّمُ على التَّحليَةِ، فكانت جملَة: ﴿لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾ أَهَمَّ في صِلَةِ الموصولِ[2].

تجرّدُ أهلِ الحقِّ عنِ الرّغبة في الوصول إلى النّفع الدّنيويّ في مقابل نصحِهم

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأجر والجزاء:

الأجرُ لا يكون إلّا على عملٍ نافعٍ، ويكون فيما كان عن عَقدٍ، وما يجري مجرى العقد، وأمّا الجزاءُ فيُقال فيما كان عن عقدٍ، وعن

بين الجزاءِ والأجرِ عمومٌ وخصوصٌ وجهيٌّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 367.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 367.

غير عقد، ويُقال في النّافع والضّارِّ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: 12]، وقوله تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: 93].

والأجرُ: الكِراءُ على العمل، وجَبْرُ العظم الكسير؛ فأُجرةُ العاملِ كأنّها شيء يُجْبَر به حالُه فيما لحِقَه مِن كدٍّ فيما عمِلَه، والجزاءُ قيامُ الشّيءِ مَقامَ غيرِه، ومكافأتُه إيّاه، ولهذا يجري في سياق القضاءِ والإنابةِ[1]، فقد يكون الأجرُ مكافئًا للعمل، وقد يقاربُه، وقد لا يكافئُه، وأمّا الجزاءُ فيكافئه، وفي القرآن الكريم يُستعمل الجزاءُ في سياق الحديث عن ثواب أهل الإيمان، فيدلُّ على أنّه فوقَ العمل بكثير، فضلًا منه سبحانه، ويُستعمل في سياق الحديث عن عقاب أهل المعصية مِن أمّة الدّعوة ومِن أمّة الإجابة، فيدلُّ على أنّه مُكافئٌ للعمل؛ عدلًا منه تعالى.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: 1/ 455 - 456.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»